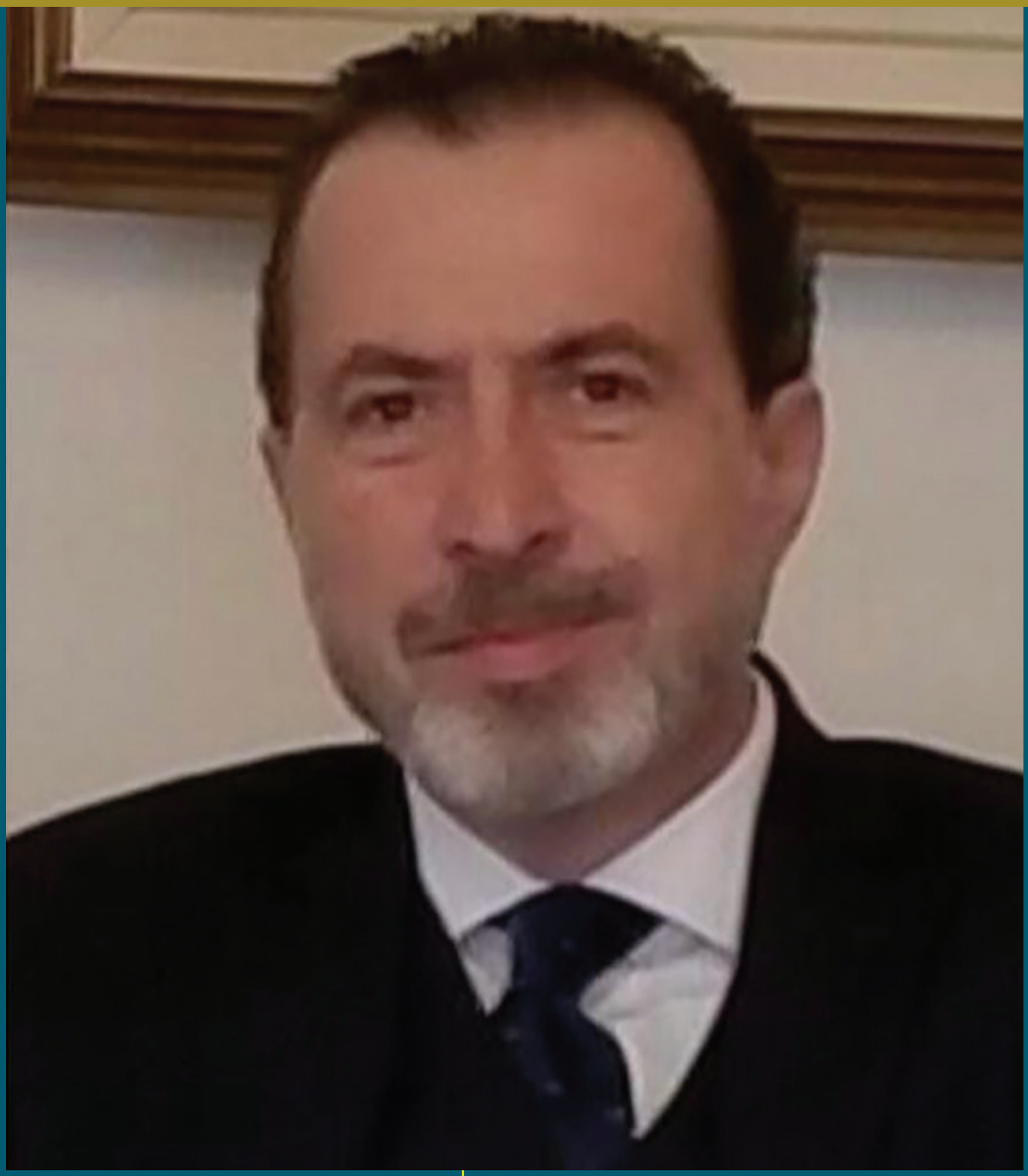

الكاتب والشاعر

# أحمد عبداللطيف وهبي

جنوب لبنان -

- كاتب وشاعر..
- عمل في التدريس
- دراسات عليا في التاريخ المعاصر ..
- الرسالة.. دراسة موسَّعة.. «الإمتيازات الأجنبية في جبل لبنان.. سليمان القانوني»..
- دراسة حول.. أفهوم القومية، القومية اليهودية الدينية.. بديل أعراق متعدّدة..
- المسؤول الثقافي في مجلة النداء.. سابقاً
- مدقّق لغة عربية..
- له العديد من المقالات، «الأسبوعية والشهرية»..
- مجلة النداء، مجلة شؤون جنوبية، جريدة الأنوار ـ سيدني، Lagazette ـ الكويت، وغيرها..
- عضو هيئة إدارية.. «بيت عيناتا» يضمّ النادي الثقافي والجمعية الخيرية..
- شارك في العديد من الأمسيات الشّعرية..
- لقاءات عبر برامج حواريّة ثقافية في المرئي والمسموع..
- حاصل على مجموعة تذكارات تكريميّة..

## إصدارات شعرية..

ظلال الأحلام (1999 ـ 2000) بيروت عاصمة ثقافيّة..

كأنّهُ حدثَ غداً..

لأنّهُ غويٌّ الماء..

ذاك الجزء من الألم..

***

ـ في الرواية...

صيف تل الزعتر 76 «ثمّ ألقى ما كان»..

مفاتيح المكان..

دراسات أو كتابات «اجتماعية»..

دراسة جامعية حول ديوان ظلال الأحلام.. تحت عنوان، في رحاب الأحلام، الأستاذة معصومة حاجي..

***

إضافة لأعمال عديدة قيد التحضير، تحت عنوان..

لوحات سريالية على الطيف الإنساني «نصوص»

رقصٌ بألوان النبيذ.. «نصوص»

لم يُنقذنا غير الحُبّ.. «رواية»..

***

مجموعة قصص قصيرة، منها ما تمّ نشره..

ومجموعات شعرية.. منها :

ـ كأنّما أكبرُ طفلاً..

ـ رسائلُ.. إليَّ.. غداً

ـ نحمل بالأمس قتلى الغد

ـ رقصٌ بلون النبيذ

***

## مُدخل...

... نحن كالتاج المُرصّع بأحجار الكرامة والصداقة والمحبّة، فإذا ما سقط حجرٌ كريم، تداعى له «سائر.. الأهل والأصدقاء والجيران والرفاق».. مؤازرةً وتعاضدًا وتواصلاً ورحمة.. فلا كريم يُهان، ولأنّنا في الزمن الصعب، نحتاج فيه لكلمةٍ سواء، لوجدانٍ وروحٍ وقلب...

***

هو الوقتُ الذاهبُ فيه، كلّما مضيتُ إليه، تضيقُ أوراقي، وبعض الصفحات، تصير مجرّد محاولاتٍ كحملاتِ النسائم العليلة، ومساحات الملاعب تتناهبها الرؤوس الحاميّة، كما لو أعرف المساحة المُتاحة لهذا الخيال ..

***

غدًا، حين تدهمُ الغبراءُ أرخبيلَ هذا الجسد، سوف تتمزّق ستارةُ الليل، ولسوف أرمي رؤاي للبحر، سوف يلتقط قواريرها بعض المحظوظين، لأنها المسكونة بحروف الضياء والنّور، وكلّ حرفٍ بألف ليلةٍ وليلة، خلفها، تلك الليلة الأخيرة، وهذا النهار الطويل، صدقاً لا أعرف خاتمةً لهذا العشق السرمديّ..

***

وَ.. أوّلاً، فاضِ قانيّاً نجيعُ الكؤوس، ولا ثانٍ لجمالٍ أنهلُهُ باحتراف أنفاس الصباح، وكلّما أصبحتِ المصابيح خاليةَ العشق، همستُ للعناصر لتستحيلَ لمناجاتي، لأستبيحَ وسنَ الجمادِ، بفكرةٍ لشكلٍ في غاية الإبداع، وذاك، الظلّيل في مهاوي الزّمن، يسترقُ فتنةَ الرّاح، فنسّاقطُ عالياً كأبخرةِ المعابد، وليست سوى صلاتي الوحيدةِ بين الغمامِ والهُيام..

***

كنتُ، وقد أسرجتُ كوابيسَ لا أخشاها، وتلك الجباهُ المُعَفّرة، يلوذ بها الضوء، ودائماً أطبع فوق جبيني دموعَ وردةٍ شمعةٍ نظرةٍ ندىً وترٍ كأسٍ وفأس، وفوق الوقت المضرّجِ فارسٌ، أمضي إليه في الأسطورة. بعض الآلهة وهم راجعون.. ثمّةَ راكعون لأصنام، يحتسون الدّماءَ المترامية الشعوب، وبي اشتعالٌ لجِنٍّ وإنس، لأطفالٍ سقطوا من قماطة الحنان، لأمهاتٍ ينتظرنَ العيونَ الغافيةَ تحت التراب..

***

وأعترفُ، أجهلُ عددَ الليالي في دمي، ماذا في دِنانِ الربّ.. في تلك المغارة ؟ كيف صار الماءُ نَسَباً للأقوام ؟ لا يقومون ليومهم، لغدهم، لدمٍ يشهُبُ، يشخبُ بذيّاك الشفق حتّى الغسق، أعراقٌ، أعرافٌ لكُحلٍ من دقيق الأرجوان والأحزان والآلام، وفي الكفِّ عينٌ زرقاء، أرى بها افتتان الكواكب، مواكبَ لا يحملها صراطُ الأوّلين. وعقب الرمادِ طينُ الضفافِ لسُّعاة، كلّما حملهم الطوفان، كلّما أليسار ابتنتْ مدينةً من جلد ثور. ثوراتٌ، ثوّارٌ حيث تشاء الأقدار، وأشاء كأسًا مقدّسةً منذ تلك الأعوام السِّمان، فأنّى في بلاد الرُّعبِ أوطاني، نقع في السنين العِجاف، وليس للجيَفِ سوى الضباع..

***

تعوي الذئابُ وفاءً لنقاء دمائها، لا تخالطها سلالات الرذيلة، يقول الراوي، يومَ تعرّتِ

الأثوابُ من أجسادها، انفلقتِ الجِفانُ عن أمطارِ حبيسةِ الوقت، وتنابشتِ الأفاعي والسّهامُ جثثَ الجيوش الغابرة، هناك، عند المغيب قُبّرةُ أبي فراسٍ، والروم يسقطون من ثغرِ الراية، لا ثغورَ عند انثيال السّهوب، لا ظلَّ لظلٍّ حين انتهال السيوف لبريق الشموس، وفي اكتمال البدر، لرائعٌ كيف تخرج علينا ذئابُنا..؟

❋❋❋

يومَ ألقيتُ حصاةً في بركةٍ رهيفةِ الإغواء، سحبتُ من بنات أفكاري صورةَ الطفلِ عنّي غدًا، وغدا الرجلُ إلى منفى الحال، مسكونًا بظلالٍ.. يظلُّ يدفعها بصَيْبٍ من صنوان التكوين، وفي الياسمين ائتلاقٌ، ائتلافٌ لأوصال الآهات والحنين، في مرايا السابلةِ عناقُ غُبارِ الانفجار الكبير، فكُنّا في الكرى نتلامسُ العشبَ، ولإقراء الحواشي ننصب الخيام، والحمقى عند باب الليل.. إذا جَنَّ، جنّتِ الدّهورُ لعقودِ الرياش، تتلاشى، إذا حطَّتِ الأنفاس فوق صدرٍ، أُقبِّلُ قلبَهُ الورديَّ المنامات..

❋❋❋

وكالمجانين، كانتِ الأسماء، الأسمالُ والأسماك في سلالٍ.. كما لو مملوءة الماء، فوق ثغرِ الماء فراشاتٌ خفيفة الظلِّ، عند ثغر الماءِ قصبُ النّايات، كالمجانين نجرُّ أذيالَ التنانين والخيبات، وكلّ النيران تنزع أرديةَ المُثخَني الجراح، حين هوت في أعماق الروح والوجدان، حين التاريخ أستاذ يُلقى به في مهبِّ التاريخ، حين.. لا حديثَ للقفار، وحدَها الأفنانُ تقشعِرُّ لصهيل الشطآن، وكلّ الآلهةِ الأوثان دبّتْ فيها الحياة..

❋❋❋

يومَ الحلّاجُ قلَبَ ظهرَ المِجَنِ، يومَ تبدّى على عودهِ كإلهٍ من بلاد الإغريقِ.. منفيّاً، وأمضي إلى سجن يوسُفَ، لعلّ أحظى بصولجان الفراعنةِ وكنعانَ وبلادِ ما بين النهرين، وديكُ الجِنِّ يُراقصُ ثوبًا فضفاض المهود. لعلَّ أصلَ ما بين عصريْ الجاهلية وجاهلية عصرنا، لعلّ أؤاخي ما بين الأجداد والحَفدة، وقد غلبتْ علينا السِلّةُ والذِلّة، لعلّ لا نوأد مرّتين، في « الأوّلة « بناتُنا، وفي الثانية عقولنا، يا سبحان مَن أسرى بقبائل الرمال، إلى مهاجع ومخادع حريم السلطان، وبأنّهُ لمسلسلٌ طويلُ الأنيابِ والأشجان..

❋❋❋

غدً، في مثل هذا الوقت، أوسعتُ الصفحات بانقلاب الوقت على ذاته، لكنّها ذاتي في حبكة التبويب والترتيب، فأطلقتُ لها فاتحة الروح، وأسلستُ الضوءَ للسابلة، ومَن كان بلا ملامح، سقط عن وقته مقبوض اللّسان، ومَن تنجدلَ فوق مسرح الأيام، غطّ في نومه.. يشابه رقصة الغجر، ولي في وهدة هذا المكوث.. ثيابي القديمة، لا أعلمُ كيف كبرتُ عنها ؟ كيف غفت في مكانها هناك ؟ لكنّها الدّنيا، لا تنفكّ تظهر بأقنعةٍ لا نهايةَ لها، وقد رُسِمَ فوق خدي الأيسر حبّة بُنٍ اشتهتها أمي زماناً كما خبّرتني، وأخرى على ظاهر يدها اليُمنى، كذلك سيف أبي، أروحُ ما بين هاتي العيون بكُليّاتِ تشكُّلي،

بعروجٍ شاهيةِ التآلق، شاهينيّة القمم، أُطعِمها هذا الوقت لغايةِ عند تلك العتبات الحمراء، وبعضها الدنان، تلك، متآرقة الشاربين، الضاربين عرض الشرايين، ما بينها الفصول، بكاءٌ مفطورٌ بغريزةٍ باصرةِ الرؤى، مقشّرة الفراسخ، تمتدّ لألوف السنوات الضوئية، تميدُ هياكل المحيطات، وقد أحاطتْ بنا طيورٌ تجيد العزف على آلة الساكسفون، موسيقى الجاز، تلائم ليالي الذِّكر، وفي الثقوب اكتساءٌ لأنفاسٍ، تصير نظرياتٍ مشدودةَ الإيقاع..

***

غدًا، إنْ تُشرعُ لكَ مرآتُكَ أبعادَها. غدًا، إن تتذوّق فكرةً عابرة، إنْ تنزع تلك الغيمات من عينين مصفّدتين، من لمساتٍ مصقولةٍ بعناية، إن تمنح التفاصيلَ أضواءً وأعياد. غدًا. كلّما ذهبتَ في الوقتِ، وأمعنتَ وأنعمتَ البصيرة. غدًا، كلّما سحبتَ من الدّماءِ اشتعالكَ، كلّما تفتّحتْ غرائبُ الدّنيا، تكتسيها نوباتٌ بلا ملامح، وقد اعشوشبت أبدانٌ، وقنافذ مدرّعة الأشواكِ، مثل سناجبَ تستقرُّ في الرماد..

***

ثمّةَ توسُّلاتٌ حديثة التكنولوجيا، تمّ الأخذ بها بموجب شرعة الآمر الناهي. ثمّةَ أعمارٌ تُقلّبُها الأكُفُّ، أنّى رقصَ خيالٌ. ثمّةَ غيومٌ تتزاوج، وقد أنجبَتِ الأناملُ لوحاتها، أذهب فيها كاسراً للأبعاد. ثمّةَ قطرةٌ التصقتْ بهذا العابر، حيثما يلثمُ الأنوارَ عن وجنات الورد، تقول بتلاتُها شوقاً أحمرَ الشّفاه، وما يتباسط عن الأقاح، أكوامُ الرّياح.. إلى أكوانٍ تتبرعم بُدورُها، وتحت كلّ غمامةٍ رأسٌ يكاد كرويّاً، وقليلاً يستطيل، وفي أُخْذَةِ عينين تذرفان النجوم، أتوسّدُ صقيعَها.. صادرًا إلى طوفِ كِساءِ مزركش الرعشات، حينما أفكُّ أزرارَ ثوبِ الحياة، أقع فيها سدرة المنتهى.. لأكتملَ في رحمها، يوم ولدَتني.. وهَبتني روحَها ومضت، وقلبها في قلبي، روحي في روحها، أُغمِضُ عينيَّ على عينيْ طفلةٍ تضجُّ في صدري وروحي، أتعلّق بضفيرتين، بذؤابات ليلها وفجرها، ولمّا أزلْ أذكر أفراسَ الشّموعِ في دمي..

***

لكَمْ.. تعلّقتُ بأرواحٍ فوق أعوادها قبل الغياب ؟ أنهضُ بوجوهٍ.. وجهي ورائحة الأرقِ تتبعُ صهيلَ الأصيل، فلا يلثم السعفَ هناك.. غير سعفٍ يماثله، ينبسق من عين الشّمس، وما بين خطوط الراح، مسافرون مُتعَبون.. منهم الرضيُّ، ومنهم الملعون، لكنَّ قلبًا ظمئًا لماءٍ مالح العبرات، سادرًا ظلال الأفكار والأنفاس، بشيءٍ من شَغاف القلق، وإذا ما رأيتني غدًا كيف أكون، لا تيأسَ، لا تضطرب، لا تنسَ من أين وإلى أين، وإنّهُ لسؤالُ العارفين الجازعين..!!

***

بالأمس.. ذات غدٍ،.. سمعنا أصواتنا غدًا.. صوتًا واحدًا مشحونًا بالخوف والعاطفة، بالغضب يرتجف فوق الشّفاه، يتلعثّم.. كيف ترويها الألسنُ فاجعة الموت، كنّا جميعًا بالأمس.. غدًا، تبتلعنا قفارُ ما بعد الإنفجار، لا أرضَ كي نعبر..

وإذا ما وقعت أجنحةُ اليمام، اعتلينا

جراحها، ورغِبْنا عن حيواتنا، نُفَسِّرُ النومَ بعيونٍ ناضبةِ الضوء، بأيَيْدٍ مثقوبة الأكُفّ، وليس للغمام أقدام، وقد غفونا في حلمٍ واحدٍ مرقّطِ التراب..

هناك، احتسينا كؤوسَهُ المترعَةَ القبسات.. لمجراها المآقي، وبأنَّ الجهات حُسنها الأسماء، بأنَّا في هذا الطواف.. منذ نُحِرَت شموعُ «الله»، وَوُشِحتِ الهضابُ والتلالُ، السّهولُ والوديان.. بيباس القلوب، بأوشاب عُشبٍ عيدانٍ حطبٍ وغصون..

وجاء من يخطبُ وِدَّ هاتي الجموع «الغفورة»، النائمة في السراب، لا يَنْي يخطبُ فيهم العراءُ الهباء والبلاء، تُقَلِّبُهم الشّمس ذات اليمين وذات الشمال، وبأنّ زغبَ المِبردِ يلحس الجلود القاسيّة، أنّ القلوب الحانيّة، تضرب في عمق الأرواح أحزمةَ اللّهيب..

وبأنّ الشّفقَ والغسقَ.. ذراعان لمجرى السنين، وكيما تسقطَ الطيّورُ عن هوائها وفضائها، يتذاوبُ دودُ القزِّ شرانِقَ الحرير، كنتُ.. ومنذ الشّمس لمستقرٍّ لها، تجري الدّماءُ، الأنهار والأمطار، والشّعرُ والغزلُ على لسان غاوٍ مُريد، أبكيها حتّى تستكينَ رِعشاتُ الناسكين، شكواهُمُ المساكين، أعتصرُ بغضبةِ الكُحلِ عن حورائه، بشذا أحلام الياسمين، ولمّا أزلْ هائمًا عن ظلّي هناك، وكُلّي ليلٌ يشتعل، يشتغلُ بهاتي العبارات، كيف شيطانُها يرنو إليّ كي أهديهِ السبيل.. !!

***

يداً في كبدي.. مددْتَ بمجراتٍ كثيرةٍ كثيفةٍ مختلفة، فزعتُ إليها بعيونِ نجومٍ ضاحكة، ولستُ أدريكَ «صحوًا أمْ مطرًا «، فسلَلْتُ دمعاتي على عمرِ أجهلُهُ، لأجلكَ صرتُ أهوى العمُرَ الجهول، والرّيح عند العراء تضع بيوضها، ومجرى شفيف دمي.. غريق، كأنّما غريقٌ في كأسي، أجرُّ عنه صلصالي، لتكوين لا يخشى الطريقَ الصديقَ الرفيق، وإنْ فكرةٌ زلّتْ، هبَّ الماكرون لصلاة الجماعة، واشتاقت أرواحهم لحوريات من فحيح أجسادِ تنفجر، وليس لحروف العِلّةِ أطباقٌ كالصحون الطائرة، وأجملُ النفوس، حين نتلاقى في الحلم، حين تنكسر الأصباح والأماسي ولَها، لإسمٍ واحدٍ ممنوع عن الصرف ..

***

تلك الصروف، تمحوها الأمواج وطواحين الهواء، وصريف

البنادق يجتاح ما وراء الأكمام، وبعض قبائل الصرف والنحو، تلاقت والمحتشدين ضدّ المصرف وحيتانه، وصرير المفاصل.. تنافُح القناصل، تدور على نفسها إسوارة الرمال الذهبيّة، لكي تقبضَ على حبال الشّمس، تطلع بحبائل الشياطين والقدّيسين، وما تخافت عن سيَرِ الأوّلين، جوع المداخن المُمَسّدُ بالأبيض والأسود، المُسَدّدُ النيران، يُرَدِّدُ يُقلّدُ الصوتَ المكّاء، مهما أثقلَ الملحُ على جرحِ الأوزون، وبأنّ أقوام الأمازون، في ثقل مكانهم.. كالهنادرة، هناك، يومَ جاءَهُم الأبيضُ الغازي..

***

تبْيّضُ الوجوه بفضل المساحيق، والنفوس تهوي في ثقوبها السوداء، ولترجيع صرخات الحياة الطفولية، من اقتمرَ الليالي يضرب

الغمامَ بالغمام، عنها هديل الحَمام، عنها حِمامُ طوابير البحر الأبيض المتوسط. هناك، وسطَ دمعةٍ انهملت عن مجهول، نَمَتْ يدٌ بعينٍ كفّها، ترنو لجدارِ تقلّدَ الوجوه، هناك، خيوطَ عنكبوتٍ.. حاكتها قماطةً لطفلٍ سيجيء، لكنّما، تراودُني الظنونَ والأهواء.. لو يظلّ هناك، فلا تزلُّ لي قدَمٌ، ولا أفتقد صدرًا عبقَ الأشواق، لا أشتاق لذراعين، لعينين وفم، لدم يجري في الورد والورود، لحضنٍ وقُبَلات، ولا أقمتُ هاتي الصلاة..

***

ومعَ كلِّ زهرةٍ، بتلاتٌ تُسَبِّحُ عشقًا، لا تَحِدْ عن شعاع القلب، أمصالُها.. وشائجُ كالعُروة الوثقى، وكلَّ مجامر العشق أُكابِد،

غرباتُ المرايا، تهْمَى فيها أحمال المرامي، ولي من رياض الغزَلِ.. شموسٌ تنمو بهشيم الضلوع، أمشي، أظلُّ من شمسٍ إلى شمسٍ، والغمام اصطفافٌ.. للصلاة على اللائذين في أعماق السكون، فألقيتُ بعض حِبري عند المغيب، وغريب الظنون في نثيث الصلبان، كان دمي في كفّين، في عينين، في كلمتين لهما وقعُ الرنينِ والأنينِ والحنين، وسردُ حوافي الشَغافِ والضِفافِ والصِّحاف، لنهلٍ وصلٍ لليلٍ استلَّ عقلي من صبري، وطفق يخصف من ورق الجنّة.. فوق شجوِ الماء، وقد كان منّي كما هارون من موسى، وقد ذهلوا عن سيزيف.. لا يَنْي يُدحرج صخرتَهُ الدهريّة، أمنحها يدي لطير أحلامي، ينقر حبَّةَ القلب، ليرتوي بقطرةٍ انهملتْ عن إسراءِ ومِعراج..

## الأدبُ عالمُ الخيال.. !!

**مُدخل..**

... كائنٌ ما يُقرِضُ الذاكرةَ أحلامَ الآخرين. ترويها أقلامٌ بيضاء، لعلّها الجداول، تدفّقُ لعتباتٍ متحرّكة، متحرّرةِ الاشتباك، والقفزة الجماعية، صورة الأرض، تتجدّدُ فيها المغامرات.

ثمّةَ قراءاتٌ لذات الألم، تصوغ تمايزها، لا تسقط عن صهوِ الفكرة والنظرة والإحساس، تلك، قرينة العقائد المختلفة، القاسيّة الخطوط والحظوظ، في متن حواشيها معاركُ الحياة المتلاحقة، صولات وجولات الهوُيات بقديمها وحديثها، كائنها متعدّدُ العِقابِ والعقبات.

***

الدّماءُ المُترجَمة، تمسرحُ ضيريٌّ لإنموذج الإنسان، تستعين بها اللّغات لخدمة العصبيّة المتفرّدة الإنتفاء. هناك، سائرون لأجل اكتمال المعنى، لكن، لا نِصابَ للأفكار المثالية، جنائزُ الحضارت كالضوء المكسور، تحت اللُّعابِ لهاثٌ لتشكيلات الجُندِ والأماكن المحروقة.. والجثث، يلفظها ثوران البراكين كدليلٍ مُدَوٍّ من نسغِ المُتَشبِّثين بِحُمرةِ الشّفق.

***

المعارج الضيّقة، كنّا ندخلها آمنين. الحيطان المتلاصقة بطعم المشاعر، يسري فيها دمٌ من مَلمَحِ الأوّلين، نمكث فيها لأوقاتٍ متنافرة، عرفنا بأُمِّ الروح.. كيف الإبادات تصير خيمةً عالميةً، يتوغّلُ، يتغوّل فيها القَتلة، قتَلةٌ يمتلكون

براغماتيةً شاذّةَ التحوّل والإشكالات، وكلّ ما ينزلقُ في الفراغ، يدور لوقوعٍ يتقدّم ويتأخر. هنا، في هذا الخواء احتجاجاتٌ مُفرَغةُ القاع، ولا شيءَ غير السواد المحسوس، تنقر فيه الغربان فضلاتِ الأفكار البشرية.

***

في الأحشاء العارية، غرباتُ القِمم، مساراتُ الحجيجِ.. وهم يزرعون حليبَ الأشواك في أرض الرّيح، ترتفع الأسلاك الشائكة لعصابات الاستيطان. يندلق القمرُ عن لياليا مصهورًا كختمٍ على جلود المُتعَبين، تنهمل النجوم لمرتزقةِ قراءة الأبراج، على ورْقِها مناقيرُ الوُرّاق، ذات رؤيا جافّةٍ هرِمتْ مشادّات العجَزة، وانغمست الأشياء بقليل تمرٍ مُسْكِر. لا أخبارَ عن بطاريق الصعاليك، عن قراصنة الجوائح.

***

في ما مضى.. ولدٌ في نصِّ العظامِ وبقايا الملاحم. لا أنفكُّ أتلو عليه رحلةَ حصارِنا معًا، في تلك الغرفة المُعتَمةِ أسفلَ الدرج، فيها جثث الشجن، وصوت أحدهم مُرٌّ في الروح.

في ما بعد.. ماذا عن النظريات وقصائد العشق.. !!

لأبخرةِ العقول والنفوس مذاق خبز المرقوق، زيت الزيتون، كان من المُقدّرِ للبعض، أن يطلعوا من كلِّ الموت إلى كلِّ الحياة.

***

... نحن كالتاج المُرصّع بأحجار الكرامة والصداقة والمحبّة، فإذا ما سقط حجرٌ كريم، تداعى له «سائر.. الأهل والأصدقاء والجيران والرفاق».. مؤازرةً وتعاضدًا وتواصلًا ورحمة.. فلا كريم يُهان، ولأنّنا في الزمن الصعب، نحتاج فيه لكلمةٍ سواء، لوجدانٍ وروحٍ وقلب...

***

هو الوقتُ الذاهبُ فيه، كلّما مضيتُ إليه، تضيقُ أوراقي، وبعض الصفحات، تصير مجرّد محاولاتٍ كحملاتِ النسائم العليلة، ومساحات الملاعب تتناهبها الرؤوس الحاميّة، كما لو أعرف المساحة المُتاحة لهذا الخيال ..

***

غدًا، حين تدهمُ الغبراءُ أرخبيلَ هذا الجسد، سوف تتمزّق ستارةُ الليل، ولسوف أرمي رؤاي للبحر، سوف يلتقط قواريرها بعض المحظوظين، لأنها المسكونة بحروف الضياء والنّور، وكلّ حرفٍ بألف ليلةٍ وليلة، خلفها، تلك الليلة الأخيرة، وهذا النهار الطويل، صدقاً لا أعرف خاتمةً لهذا العشق السرمديّ..

***

وَ.. أوّلاً، فاضِ قانيّاً نجيعُ الكؤوس، ولا ثانٍ لجمالٍ أنهلُهُ باحتراف أنفاس الصباح، وكلّما أصبحتِ المصابيح خاليةَ العشق، همستُ للعناصر لتستحيلَ لمناجاتي، لأستبيحَ وسنَ الجمادِ، بفكرةٍ لشكلٍ في غاية الإبداع، وذاك، الظلّيل في مهاوي الزّمن، يسترقُ فتنةَ الرّاح، فنسّاقطُ عالياً كأبخرةِ المعابد، وليست سوى

صلاتي الوحيدةِ بين الغمامِ والهُيام..

***

كنتُ، وقد أسرجتُ كوابيسَ لا أخشاها، وتلك الجباهُ المُعَفّرة، يلوذ بها الضوء، ودائماً أطبع فوق جبيني دموعَ وردةٍ شمعةٍ نظرةٍ ندىً وترٍ كأسٍ وفأس، وفوق الوقت المضرّجِ فارسٌ، أمضي إليه في الأسطورة. بعض الآلهة وهم راجعون.. ثمّةَ راكعون لأصنام، يحتسون الدّماءَ المترامية الشعوب، وبي اشتعالٌ لجنٍّ وإنس، لأطفالٍ سقطوا من قماطة الحنان، لأمهاتٍ ينتظرنَ العيونَ الغافيةَ تحت التراب..

***

وأعترفُ، أجهلُ عددَ الليالي في دمي، ماذا في دِنانِ الربّ.. في تلك المغارة ؟ كيف صار الماءُ نَسَباً للأقوام ؟ لا يقومون ليومهم، لغدهم، لدمٍ يشهُبُ، يشخبُ بذيّاك الشفق حتّى الغسق، أعراقٌ، أعرافٌ لكُحلٍ من دقيق الأرجوان والأحزان والآلام، وفي الكفِّ عينٌ زرقاء، أرى بها افتتان الكواكب، مواكبَ لا يحملها صراطُ الأوّلين. وعقب الرمادِ طينُ الضفافِ لسُّعاة، كلّما حملهم الطوفان، كلّما أليسار ابتنتْ مدينةً من جلد ثورٍ. ثوراتٌ، ثوّارٌ حيث تشاء الأقدار، وأشاء كأسًا مقدّسةً منذ تلك الأعوام السِّمان، فأنّى في بلاد الرُّعبِ أوطاني، نقع في السنين العِجاف، وليس للجيَفِ سوى الضباع..

***

تعوي الذئابُ وفاءً لنقاء دمائها، لا تخالطها سلالات الرذيلة، يقول الراوي، يومَ تعرّتِ الأثوابُ من أجسادها، انفلقتِ الجِفانُ عن أمطارِ حبيسةِ الوقت، وتنابشتِ الأفاعي والسّهامُ جثثَ الجيوش الغابرة، هناك، عند المغيب قُبّرةُ أبي فراسٍ، والروم يسقطون من ثغرِ الراية، لا ثغورَ عند انثيال السّهوب، لا ظلَّ لظلٍّ حين انتهال السيوف لبريق الشموس، وفي اكتمال البدر، لرائعٌ كيف تخرج علينا ذئابُنا..؟

***

يومَ ألقيتُ حصاةً في بركةٍ رهيفةِ الإغواء، سحبتُ من بنات أفكاري صورةَ الطفلِ عنّي غدًا، وغدا الرجلُ إلى منفى الحال، مسكونًا بظلالٍ.. يظلُّ يدفعها بصَيْبٍ من صنوان التكوين، وفي الياسمين ائتلاقٌ، ائتلافٌ لأوصال الآهات والحنين، في مرايا السابلةِ عناقُ غُبارِ الانفجار الكبير، فكُنّا في الكرى نتلامسُ العشبَ، ولإقراء الحواشي ننصب الخيام، والحمقى عند باب الليل.. إذا جَنَّ، جنّتِ الدّهورُ لعقودِ الرياش، تتلاشى، إذا حطَّتِ الأنفاس فوق صدرٍ، أُقبِّلُ قلبَهُ الورديَّ المنامات..

***

وكالمجانين، كانتِ الأسماء، الأسمالُ والأسماك في سلالٍ.. كما لو مملوءة الماء، فوق ثغرِ الماء فراشاتٌ خفيفة الظلِّ، عند ثغر الماءِ قصبُ النّايات، كالمجانين نجرُّ أذيالَ التنانين والخيبات، وكلّ النيران تنزع أرديةَ المُثخَني الجراح، حين هوت في أعماق الروح والوجدان، حين التاريخ أستاذ يُلقى به في مهبِّ التاريخ، حين.. لا حديثَ للقفار، وحدَها

الأفنانُ تقشعِرُ لصهيل الشطآن، وكلّ الآلهةِ الأوثان دبّتْ فيها الحياة..

***

يومَ الحلّاجُ قلَبَ ظهرَ المِجَنِ، يومَ تبدّى على عودهِ كإلهٍ من بلاد الإغريقِ.. منفيّاً، وأمضي إلى سجنِ يوسُفَ، لعلّ أحظى بصولجانِ الفراعنةِ وكنعانَ وبلادِ ما بين النهرين، وديكُ الجِنِّ يُراقصُ ثوبًا فضفاض المهود. لعلَّ أصلَ ما بين عصريْ الجاهلية وجاهلية عصرنا، لعلّ أؤاخي ما بين الأجداد والحَفدة، وقد غلبتْ علينا السِلّةُ والذِلّة، لعلّ لا نوأد مرّتين، في « الأوّلة « بناتُنا، وفي الثانية عقولنا، يا سبحان مَن أسرى بقبائل الرمال، إلى مهاجع ومخادع حريم السلطان، وبأنّهُ لمسلسلٌ طويلُ الأنيابِ والأشجان..

***

غدً، في مثل هذا الوقت، أوسعتُ الصفحات باْنقلاب الوقت على ذاته، لكنّها ذاتي في حبكة التبويب والترتيب، فأطلقتُ لها فاتحة الروح، وأسلستُ الضوءَ للسابلة، ومَن كان بلا ملامح، سقط عن وقته مقبوض اللّسان، ومَن تنجدلَ فوق مسرح الأيام، غطّ في نومه.. يشابه رقصة الغجر، ولي في وهدة هذا المكوث.. ثيابي القديمة، لا أعلمُ كيف كبرتُ عنها ؟ كيف غفت في مكانها هناك ؟ لكنّها الدّنيا، لا تنفكّ تظهر بأقنعةٍ لا نهايةَ لها، وقد رُسِمَ فوق خدي الأيسر حبّة بُنٍ اْشتهتها أمي زماناً كما خبّرتني، وأخرى على ظاهر يدها اليُمنى، كذلك سيف أبي، أروحُ ما بين هاتي العيون بكُليّاتِ تشكُّلي، بعروجٍ شاهيةِ التآلق، شاهينيّة القمم، أُطعِمها هذا الوقت لغايةٍ عند تلك العتبات الحمراء، وبعضها الدنان، تلك، متآرقة الشاربين، الضاربين عرض الشرايين، ما بينها الفصول، بكاءٌ مفطورٌ بغريزةٍ باصرةِ الرؤى، مقشّرة الفراسخ، تمتدّ لألوف السنوات الضوئية، تميدُ هياكل المحيطات، وقد أحاطتْ بنا طيورٌ تجيد العزف على آلة الساكسفون، موسيقى الجاز، تلائم ليالي الذِّكر، وفي الثقوب اْكتساءٌ لأنفاسٍ، تصير نظرياتٍ مشدودةَ الإيقاع..

***

غدًا، إنْ تُشرعُ لكَ مرآتُكَ أبعادَها. غدًا، إن تتذوّق فكرةً عابرة، إنْ تنزع تلك الغيمات من عينين مصفّدتين، من لمساتٍ مصقولةٍ بعناية، إن تمنح التفاصيلَ أضواءً وأعياد. غدًا. كلّما ذهبتَ في الوقتِ، وأمعنتَ وأنعمتَ البصيرة. غدًا، كلّما سحبتَ من الدّماءِ اْشتعالكَ، كلّما تفتّحتْ غرائبُ الدّنيا، تكتسيها نوباتٌ بلا ملامح، وقد اْعشوشبت أبدانٌ، وقنافذ مدرّعة الأشواكِ، مثل سناجبَ تستقرُّ في الرماد..

***

ثمّةَ توسُّلاتٌ حديثة التكنولوجيا، تمّ الأخذ بها بموجب شرعة الآمر الناهي. ثمّةَ أعمارٌ تُقلّبُها الأكُفُّ، أنّى رقصَ خيالٌ. ثمّةَ غيومٌ تتزاوج، وقد أنجبَتِ الأناملُ لوحاتها، أذهب فيها كاسراً للأبعاد. ثمّةَ قطرةٌ اْلتصقتْ بهذا العابر، حيثما يلثمُ الأنوارَ عن وجنات الورد، تقول بتلاتُها شوقاً أحمرَ الشّفاه، وما يتباسط عن الأقاح، أكوامُ الرّياح.. إلى أكوانٍ تتبرعم بُدورُها، وتحت كلّ غمامةٍ رأسٌ يكاد كرويّاً،

وقليلاً يستطيل، وفي أُخْـذَةِ عينين تذرفان النجوم، أتوسّدُ صقيعَها.. صادرًا إلى طوفِ كِساءِ مزركش الرِعشات، حينما أفكُّ أزرارَ ثوبِ الحياة، أقع فيها سدرة المنتهى.. لأكتملَ في رحمها، يوم ولدَتني.. وهَبتني روحَها ومضت، وقلبها في قلبي، روحي في روحها، أُغمِضُ عينيَّ على عينيْ طفلةٍ تضجُّ في صدري وروحي، أتعلّق بضفيرتين، بذؤابات ليلها وفجرها، ولمّا أزلْ أذكر أفراسَ الشّموعِ في دمي..

***

لكَمْ.. تعلّقتُ بأرواحٍ فوق أعوادها قبل الغياب ؟ أنهضُ بوجوهٍ.. وجهي ورائحة الأرقِ تتبعُ صهيلَ الأصيل، فلا يلثم السعفَ هناك.. غير سعفٍ يماثله، ينبسق من عين الشّمس، وما بين خطوط الراح، مسافرون مُتعَبون.. منهم الرضيُّ، ومنهم الملعون، لكنَّ قلبًا ظمئًا لماءٍ مالح العبرات، سادرًا ظلال الأفكار والأنفاس، بشيءٍ من شَغاف القلق، وإذا ما رأيتني غدًا كيف أكون، لا تيأسَ، لا تضطرب، لا تنسَ من أين وإلى أين، وإنّهُ لسؤالُ العارفين الجازعين..!!

***

. ذات غدٍ.. سمعنا أصواتنا غدًا.. صوتًا واحدًا مشحونًا بالخوف والعاطفة، بالغضب يرتجف فوق الشّفاه، يتلعثّم.. كيف ترويها الألسنُ فاجعة الموت، كنّا جميعًا بالأمس.. غدًا، تبتلعنا قفارُ ما بعد الإنفجار، لا أرضَ كي نعبر..

وإذا ما وقعت أجنحةُ اليمام، اٰعتلينا جراحها، ورغِبْنا عن حيواتنا، نُفَسِّرُ النومَ بعيونٍ ناضبةِ الضوء، بأيَيْدٍ مثقوبة الأكُفّ، وليس للغمام أقدام، وقد غفونا في حلمٍ واحدٍ مرقّطِ التراب..

هناك، اٰحتسينا كؤوسَهُ المترعَةَ القبسات.. لمجراها المآقي، وبأنَّ الجهات حُسنها الأسماء، بأنَّا في هذا الطواف.. منذ نُحِرَت شموعُ «الله»، وَوُشِحتِ الهضابُ والتلالُ، السّهولُ والوديان.. بيباس القلوب، بأوشاب عُشبٍ عيدانٍ حطبٍ وغصون..

وجاء من يخطبُ وِدَّ هاتي الجموع «الغفورة»، النائمة في السراب، لا يَنْي يخطبُ فيهم العراءُ الهباء والبلاء، تُقَلِّبُهم الشّمس ذات اليمين وذات الشمال، وبأنّ زغبَ المِبردِ يلحس الجلود القاسيّة، أنّ القلوب الحانيّة، تضرب في عمق الأرواح أحزمةَ اللّهيب..

وبأنّ الشّفقَ والغسقَ.. ذراعان لمجرى السنين، وكيما تسقطَ الطيّورُ عن هوائها وفضائها، يتذاوبُ دودُ القزِّ شرانِقَ الحرير، كنتُ.. ومنذ الشّمس لمستقرٍّ لها، تجري الدّماءُ، الأنهار والأمطار، والشِّعرُ والغزَلُ على لسان غاوٍ مُريد، أبكيها حتّى تستكينَ رِعشاتُ الناسكين، شكواهُمُ المساكين، أعتصرُ بغضبةِ الكُحلِ عن حورائه، بشذا أحلام الياسمين، ولمّا أزلْ هائمًا عن ظلّي هناك، وكُلّي ليلٌ يشتعل، يشتغلُ بهاتي العبارات، كيف شيطانُها يرنو إليّ كي أهديهِ السبيل.. !!

***

يداً في كبدي.. مددْتَ بمجراتٍ كثيرةٍ كثيفةٍ مختلفة، فزعتُ إليها بعيونِ نجومٍ ضاحكة، ولستُ أدريكَ «صحوًا أمْ مطرًا «،

فسلَلْتُ دمعاتي على عمرٍ أجهلُهُ، لأجلكَ صرتُ أهوى العمُرَ الجهول، والرّيح عند العراء تضع بيوضها، ومجرى شفيف دمي.. غريق، كأنّما غريقٌ في كأسي، أجرُّ عنه صلصالي، لتكوين لا يخشى الطريقَ الصديقَ الرفيق، وإنْ فكرةٌ زلّتْ، هبَّ الماكرون لصلاة الجماعة، واشتاقت أرواحهم لحوريات من فحيح أجسادٍ تنفجر، وليس لحروف العِلّةِ أطباقٌ كالصحون الطائرة، وأجملُ النفوس، حين نتلاقى في الحلم، حين تنكسر الأصباح والأماسي ولَهاً، لإسمٍ واحدٍ ممنوع عن الصرف ..

***

تلك الصروف، تمحوها الأمواج وطواحين الهواء، وصريف

البنادق يجتاح ما وراء الأكمام، وبعض قبائل الصرف والنحو، تلاقت والمحتشدين ضدّ المصرف وحيتانه، وصرير المفاصل.. تنافُح القناصل، تدور على نفسها إسوارة الرمال الذهبيّة، لكي تقبضَ على حبال الشّمس، تطلع بحبائل الشياطين والقدّيسين، وما تخافت عن سيَرِ الأوّلين، جوع المداخن المُمَسّدُ بالأبيض والأسود، المُسَدّدُ النيرانِ، يُرَدِّدُ يُقلّدُ الصوتَ المكّاء، مهما أثقلَ الملحُ على جرحِ الأوزون، وبأنّ أقوام الأمازون، في ثقل مكانهم.. كالهنادرة، هناك، يومَ جاءَهُم الأبيضُ الغازي..

***

تبْيّضُ الوجوه بفضل المساحيق، والنفوس تهوي في ثقوبها السوداء، ولترجيع صرخات الحياة الطفولية، من اقتمرَ الليالي يضرب الغمامَ بالغمام، عنها هديل الحَمام، عنها حِمامُ طوابير البحر الأبيض المتوسط. هناك، وسطَ دمعةٍ انهملت عن مجهول، نَمَتْ يدٌ بعينِ كفّها، ترنو لجدارِ تقلّدَ الوجوه، هناك، خيوط عنكبوتٍ.. حاكتها قماطةً لطفلٍ سيجيء، لكنّما، تراودُني الظنونَ والأهواء.. لو يظلّ هناك، فلا تزلُّ لي قدَمٌ، ولا أفتقد صدرًا عبقَ الأشواق، لا أشتاق لذراعين، لعينين وفمٍ، لدمٍ يجري في الورد والورود، لحضنٍ وقُبَلات، ولا أقمتُ هاتي الصلاة..

***

ومعَ كلِّ زهرةٍ، بتلاتٌ تُسَبِّحُ عشقًا، لا تَحِدْ عن شعاع القلب، أمصالُها.. وشائجُ كالعُروة الوثقى، وكلَّ مجامر العشق أُكابِد،

غرباتُ المرايا، تهْمَى فيها أحمال المرامي، ولي من رياض الغزَلِ.. شموسٌ تنمو بهشيم الضلوع، أمشي، أظلُّ من شمسٍ إلى شمسِ، والغمام اصطفافٌ.. للصلاة على اللائذين في أعماق السكون، فألقيتُ بعض حِبري عند المغيب، وغريب الظنون في نثيث الصلبان، كان دمي في كفّين، في عينين، في كلمتين لهما وقعُ الرنينِ والأنينِ والحنين، وسردُ حوافي الشَغافِ والضِفافِ والصِّحاف، لنهلٍ وصلٍ لليلٍ استلَّ عقلي من صبري، وطفق يخصف من ورق الجنّة.. فوق شجوِ الماء، وقد كان منّي كما هارون من موسى، وقد ذهلوا عن سيزيف.. لا يَنْي يُدحرج صخرتَهُ الدهريّة، أمنحها يدي لطير أحلامي، ينقر حبَّةَ القلب، ليرتوي بقطرةٍ انهملتْ عن إسراءِ ومِعراج..

## من الجنوب.. إلى الجنوب

### 1

قبلَ الحربِ..
منذُ الحربِ..
خلالَ الحربِ..
بعدَ الحربِ..
من الجنوبِ.. إلى الجنوبْ
حاملينَ سلالَ الأرضِ
يواصلون المسيرَ
والرّيحُ جهاتُها الجنوبْ
وما فوق أشعةِ الدروبْ
حكايا الحجارةِ والطينِ والسّواعدْ
وفي مهَبِّ الأرجوانِ
قاماتُ الشُّهُبِ بشذا الحواكير،
قوافلُ القلوبِ
والنيرانُ غريزةُ الأساطيرْ،
هناك.. عند الأحلامِ قَسَتِ الشّمسُ
ورَفَعَتِ الرماحُ أطفالَها
كانت دماؤهُمْ تعدو بالأزمنة
بجنازاتٍ ما بين رموشِ السَّعفِ،
أرواحٌ خلفَ عروقِ الشغفِ
تنداحُ لنداءِ المآذنْ
وأمواجُ الهاماتِ
يحفرُ ماؤها صدى الملاعب
خُطاهُمْ..
وخطُّ المشيبِ جرَّحَ المرايا..

ومالتْ على الكتفِ يمامة
ألقتْ مجرَّةً على البيوت المُهَدَّمة
مطارحُ لا تغيبُ أصواتُها،
قنطرةُ الدارِ..
عبَرتُها إلى زمنٍ آخر
هنا.. الحصارُ من أعلى التلِّ
فهبَطْنا إلى بطنِ الوادي القمريّ
والطلَقاتُ رسُلُ الموتِ
ناديتُ أُمّي..
كانت تُنَقّي القمحَ من زؤان القهر
على جِمار العُمْرِ.. مضَيْنا
وعتباتُ الجنوبِ حِضْنُ السَّواد..

كان الماسُ فحمَ الحربِ والسلامْ
والناسُ يتسلّلون من المَسام
وحَلْماتُ الغيماتِ تستَرِقُ
لمَساتٍ مُحَنَّاةَ البريق،
فضجَّت شُقوقُ ناطحةِ الأمم
وتغامَتْ قراراتٌ تحت الحُطام
وفي الجروحِ شعوبٌ مُخَدَّرة
تجْهَشُ الجهاتُ من الأمامِ
من الوراءِ.. من الميمنةِ والميسرة
مَّن في القلب لهذا الرُّعبِ
وقد أقبلَ الجنوبُ

من الجنوبِ.. إلى الجنوبِ
أقاموا صلاةَ القِبلةِ الجَنوبْ..

**2**

الذين هنا منذُ التكوينِ
وحيث تتناسلُ الرمالُ
عمَرَتْ في محاجرِ الوغى
دوحُ البُكاء،
ومن بكَتْهُ المِسافاتْ
ساقَ الأصيلَ إلى دمِ التين
وعانقَ زهرةَ البحرِ
لِتُشرِقَ مناراتُ الأكُفِّ
لِتكتملَ السّهولُ والجبالْ،
في بؤبؤِ الفجرِ وجوهُ الضوءِ
تهيمُ وسُراةُ الأبعادِ،
أصواتٌ خلفَ أسِنّةِ الفراغْ
تعودُ بالصدى لتَرجيعِ الأثوابْ،
لِيَدَيْنِ.. تفورُ المطارحْ
يخوضُ النهرُ أثلامَ الضبابْ
والوردةُ تجمعُ الألوانَ
لِعُشْبٍ وحيدِ الرؤى
لعينينِ مشغولتينِ من بصيرةِ الخنساء
لا تغادران قوسَ قُزحِ الجنوبْ..

وتنحني المناديلُ فوقَ القبورِ
هناك.. عند جبهةِ الصلاة
سالتْ ينابيعْ عامِلة،
هناك.. سمِعْنا حِداءَ الزمان
هناك الجَدَّاتْ عصَرَنَ القناديل
سَقَيْنَ قصَبَ السّماءْ
عطَّرْنَ رِغباتِ الوالهين
ثُمَّ من رملِ نينوى
أقراصُ الحسينِ والعبّاسْ
حينَ الرضيعُ الدُرِيُّ
يُدْفَنُ في صدرِ أبيه
حين تُقبِلُ المنافي
تُقَبِّلُ ثغرَ السّيفِ في غِمْدِ الرُّضابْ
حين فراشةٌ يانعةٌ في حُلكةِ السرابْ
خلفها عبَرْنا مداخنَ التبغِ
رفَعْنا الأسلاكَ عن المزاراتْ
وبالجُفون لثَمْنا اشتِعالَ الغيمِ
نسْحَبُها المنايا إلى البيتِ العتيق..

وتحمِلُ الطَيْرُ عشقَ الجنوبْ
تُهاجِرُ من الجنوبِ إلى الجنوبْ
وقد أبْصَرْناها في المُهودْ
ولمَّا كبُرْنا ركَضْنا في الكُرومْ
حَمَلْنا المدينةَ إليها
حَلِمْنا بذاتِ الحُلُمْ
فكانت النجومُ البعيدة
معلَّقةً بخيطانٍ رفيعة
تدورُ تحت سنابكِ ماكينةِ الأثوابْ

وأيادي الفجرِ تحْتَلِبُ نبعةَ السَّفحِ
كالفِضَّةِ ماؤها النَميرِ
يُغازِلُ الوَجهَ الصَّبوحِ
وبعضُ القطراتِ لو أطفالْ
كطائراتِ القصَبِ والورقِ
تموجُ خيولُها ما بين خَيْطَيْ ليلٍ ونهار
لا تدوسُ وردةً على ثغرِ الفجرِ
والثُّغورُ مرفوعةُ الهاماتِ
والراياتْ..
معاً إلينا نعودْ..
دَماً لِمرآتِنا معاً
قلَّدَها الشهيدْ..

**3**

في راحةِ الدُّنيا
أين الصَّحبُ والصُّبحُ والدُّروبْ ؟
حولَ القرى تدورُ المواكِبْ
يصحو فضاءُ الكرومِ
تجمعُ السّاحاتُ مراثي القادمينْ
تفورُ الأثوابُ بأطفالٍ طريّةِ النُّعاس
يَحْتَمِلُ العُشْبُ هبوبَ الأشجارِ،
الذين بلا أثرْ..
هُمْ كلُّ المكانِ أنَّى صاروا
الزمانُ والعناصرُ
المَدُّ والجَزْرُ،
لا يجِفُّ مِدادُ الغيمِ
تسرحُ سنابِلُها البيضاءْ
وَلِطَعْمِ الطينِ صمتٌ مُقَدَّسْ
هالةٌ لا يخترِقُها الرصاصْ
لكنّها طلقاتُ بحرِ كَنعانْ
معلَّقةٌ بأجنحةِ النوارس،
فأخذتُ مكاني قِبالةَ أُفْقِ الأُرجوان
واْبْتَنَيْتُ من الدَّفلى بيتًا
وعند قِلاعِ الجنوبِ
دماءٌ.. زيتُ القِدِّيسين
باكرًا قاموا من جِرارِهِمْ
قاوموا..
وأنا الطفلُ.. الرجلُ في المرآة
بعد حينٍ طلائعُ الخالدين..

هنا..
هناك من الجنوبِ إلى الجنوبْ
بَوْصَلَةُ القلوبْ،
الشِّعرُ والغزَلُ والعيون،
بيوتُ الله..
الرُّبى والخيرُ والبركاتُ والآهْ،
هنا..
مَّن رأى الأولياءَ والصالحين ؟
مَّن اْسْتَزادَ بقمحِ الحِكايات ؟
مَّن عَبرَ بابَ السِرِّ
إلى حينٍ من الدَّهرِ
عميقَ الجُرحِ

جنوبيَّ الهوى ؟
مَّن لفاتحةِ الكِتابِ
الأرضِ والسّماءِ ؟
لفاتِحةِ التُرابِ
أسرابُ الضوءِ
تُماثِلُ شرايين الكُحلِ
ويشتعل النهرُ الكبيرُ
في مجرى الدَّمعِ،
وفي حروفِ المجدِ ألمٌ
جَدٌّ قرينُ الكمالِ،
في هذا العصرِ
بين القيظِ والزَمهريرِ
هنا الجنوبُ سليلُ كربلاء..

سقطتْ تلك الدُّروبْ
كانتْ كالأطفالِ،
فوق بقايا جدارْ
ولدٌ رفعَ الآذان
وكان هزَّ حبلَ الجرس،
واهتَزَّتِ المطارِحُ والشّواهِدُ
وشَقَّ ذلك النهارِ عصفٌ
مثلَ أوشامِ الطباشير..

وقد قَطَّعَ زريابُ أوتارَهُ
فإذا حمائِلُ المهاجرين أسفارُهُ
ومدائنُ الصفيحِ تَغلي دمَ الأشجار،
مدَّاحٌ لتلك الليلةِ الأخيرة
جَنوباً جرى كالماءِ
وأخضَرَ العينين يَمَّمَ قِبلةَ القلبِ
وفي نور اللّحاظ برعمَتْ نظرةٌ
تستديرُ لها بطونُ الكُتُبِ
فيها عقولٌ تومِئُ للناطقين
لا يموتُ العقلُ والوجعُ فيهْ
وفيهِ الجَنوبْ..

**4**

سُلافُ التعَبِ
محاريث الوجعِ،
أكتاف القرى خنادق..
هواها جنوبُ الجنوبِ
والغُزاةُ جرادٌ مَبَرْمَجْ
كتَبوا.. موتوا
لكنَّا لا نفعلْ.. نحيا أكثرْ،
والجنينُ في رحِمِ أُمِّهِ
بعدَ الطلقةِ الأولى.. قرَّرْ،
واْمتلأ الفضاءُ بمُسيَّراتٍ مختَلِفةْ
والبيوتُ في أماكِنها
والناسُ يُشرِعونَ الأبوابَ والنوافذْ
حين اْستدارتِ الجهاتُ
اْندَلَقَتْ عُصارَةُ كَبِدِ السّماءْ
ولا بُدَّ مِنْ فَكِّ عِقْدَةِ كوفيّةٍ
كغيمةٍ مطعونةٍ في بلادٍ بعيدة،

تحت جِبّةِ العُشبِ
على الدروبِ عندَ عمائمِ الحدودْ
صوتٌ وحيدٌ للجنوبِ.. كبَّرْ،
الأحياءُ والشّهداءُ والأمواتْ
وقد اٰعتصموا ذَوْداً بحبلِ الله..
وهذا الفجرُ للزوّارِ
لخُبزِ التنّورِ قبلَ تفَتُّحِ الأزرارْ
قبلَ كشفِ الأسرارِ
على لِسانِ قَعْداتِ القهوة
ومِن فصولِ الأكوانِ
تُبْذَرُ الكلماتْ
فأينعَتْ أعشاشُ العصافيرِ
وكبُرتْ سنواتُ الأثوابْ..

حَيَّ على الفلاح
ما وراءَ بحورِ الظُّلُماتِ
نخلةٌ من بلادِ الشّوقِ
شوهِدَتْ ذاتَ مرّةٍ في الجَنوبِ
وقد خالطَها دمُ القلبِ
حين اٰختلفتْ جاذبيةُ الغضبِ
قُبِضَ على الليل والنهار
ومالَتِ الأرضُ إلى قَطْرةٍ
في مجرّةِ دربِ التبانة
كان لونُها يعكِسُ ألوانَ العيون
ولي سبعون شمساً
من سُلاف العروقِ والغصون،

لي ترابي المُقَدَّسُ
يخصَبُ في الأعماق
إلى العلياءِ في الجنوب..

وإنْ يبدو الجرحُ
يتبدَّى في حميمهِ طفلٌ
كراويةٍ لحاضرةِ الصُّمود،
وميادينُ الجنوبِ تعدو
تغدو الحاراتُ مصرورةً
وأهلُ الجمالِ حيَواتٌ
أدمَنَتْ على أطيافِ الأجدادِ
والأبناءْ..
قُدْرَةٌ تجاوَزَتِ الحياةَ
إلى الحياةِ
جَنوباً بِقاعاً
بالحُبِّ بالعِشقِ
بجِبرِ القيامة،
وما يظهرُ من سُلافِ
الهُيامِ والإلهام
من أكُفِّ الرُّكامِ
من دمعةٍ مجبولةٍ بالضوءِ
من عباءةٍ كالماء محسوسةِ الآلامِ
من غدٍ يُشابِهُ الآنَ
إلى غدٍ جنوبيِّ الوطنِ
والتفاصيلْ..